الجامعة	الأنبار
الكلية	التربية للبنات
القسم	التأريخ
المرحلة	الثالثة
اسم المادة باللغة العربية	فلسفة التأريخ
اسم المادة باللغة الانكليزية	Philosophy of History
اسم التدريسي	د.فاطمة سامي شهاب أحمد
عنوان المحاضرة باللغة العربية	اهم الاتجاهات في تفسير التاريخ
عنوان المحاضرة باللغة الإنكليزية	Trends in the interpretation of history
رقم المحاضرة	السابعة
المصادر او المراجع	المفصل في فلسفة التاريخ هاشم الملاح

المحاضرة السابعة:

اهم الاتجاهات في تفسير التاريخTrends in the interpretation of history

أولاً: التفسير الخرافي والأسطوري للتاريخ:

التفسير الخرافي:

لقد جاء اصطلاح الخرافة اشتقاقاً بمعنى "الحديث الباطل مطلقاً"، والخرافة من خرُفَ خرفاً أي فسد عقله. وتنحدر مفردة "خرافة" حسب الروايات من رجل من قبيلة "عذرة" كان يدعى "خرافة"، يُروى أن الجن قد أخذوه عندهم زمناً ثم أعادوه إلى بيئته البشرية الطبيعية، فكان يروي لأبناء قبيلته ما قد شاهده من عوالم الجن وطبيعتهم، فجرى القول بناءاً على تلك الرواية وصفاً لها بما كان يعرف بـ "حديث خرافة".

وتعد الخرافة حقلاً مهماً بالنسبة لدارسي التاريخ البشري ومصدراً مهماً للتعرف على طبيعة سلوك الكثير من المجتمعات البشرية التي أثرت الخرافة في مجريات حياتها، ولا زالت تؤثر إلى يومنا هذا في عدة مجتمعات لا زالت تعيش وتؤمن بوجود الخرافات، حيث يُلاحظ المتتبع للتراث العربي وجود العديد من "الحكايات الخرافية" التي تتضمن الكثير من الإيماءات الأخلاقية كمحاربة الشر ونصرة الخير والوقوف ضد الظلم والطغيان كقصة "عنترة" و "السيرة الهلالية".

ومن أبرز ما يميز الخرافة هو كونها تعتمد على علاقات غير سببية وغير منطقية تربط بين أقطاب الحياة الاجتماعية التي يكون الإنسان واحداً من أهم شخوصها.

التفسير الأسطوري:

اختلف الفلاسفة والمؤرخون كثيراً في تعريف الأسطورة، وذهبوا مذاهب شتى، فقد عرفها اليونان بأنها تدل على القصة المتواترة أو الحكاية التقليدية عن الآلهة أو الأبطال، وقد أطلقوا

عليها لفظةmyth "ميثوس" لتدل عليها، ومنها اشتقت كلمةmythology "ميثولوجيا" لكي تدل على "علم الأساطير". وفي اللغة العربية جاءت مفردة الأسطورة لتدل على الأحاديث العجيبة التي لا نظام لها والأقاويل المزخرفة.

ولم يقتصر الاختلاف حول اللفظ فقط ولكن المؤرخين والمفسرين قد اختلفوا أيضا حول الاصطلاح، فقد ذهبت الكثير من الآراء إلى القول بأن الأسطورة هي رواية عن الآلهة أو الكائنات أو القوى الغيبية، تم تداولها من قبل المجتمعات على اختلاف حجمها، وقد حاولت تلك المجتمعات من خلالها تفسير نشأة الإنسان وموته وعلاقة الإنسان بالعالم المحيط به، كما صنفها آخرون على أنها "تأريخ أولي" أو تجسيد لأخيلة لا واعية حاولت أن تجد أصلا للتاريخ.

ومن أبرز ما تميزت به الأسطورة:

1- كانت تمثل معتقداً يعتنقه المجتمع المتعاطي لها، وهذا على العكس من الخرافة التي لم تكن تشكل معتقدا للناس الذين كانت تتداول فيما بينهم.
2- لقد كان الآلهة والأبطال هم اللاعبون الأبرز في أغلب الأساطير.
3- لم يكن للأساطير زمن تدور فيه أحداثها لكون الزمن فيها هو زمن أزلي.

وتكمن أهمية الأسطورة في رمزيتها التي كانت من أبرز الدوال على الوعي البشري، حيث مثلت الرموز التي كانت تعج بها الأساطير طرقاً مختلفة سلكها المؤرخون وفلاسفة التاريخ للوصول إلى فهم أنماط الوعي البشري الجمعي، وقد كان من بين أبرز من عالج موضوعة الرمز في الأسطورة بعين الملاحظة الفيلسوف "كلود ليفي شتراوس" الذي ينتمي للمدرسة "البنيوية".

ويتفاوت الاهتمام بالأسطورة تبعا لتنوع المدارس التي كان للتطور العلمي الدور البارز في بلورة أفكارها، ففي مطلع العصور الحديثة أدى التطور العلمي إلى ازدراء الأسطورة لتنافيها مع التفكير العلمي الجديد، وكذلك كان حالها في عصر الأنوار، حيث عدَّت من قبيل الإدراك البدائي الخاطئ،كما عدَّت من أمراض اللغة كما ذهب إلى ذلك وغيره "ماكس مولر" و "هربرت سبنسر"؛ في حين شكلت عند أصحاب المدرسة "الرومانتيكية" أصلا للفن والدين والتاريخ. وعلى الرغم من هذا فقد تبلور الاهتمام بالأسطورة بشكله النهائي على شكل فرع من فروع المعرفة سمي بـ"علم الأساطير" أو "الميثولوجي"، وقد اهتم بتعريف الأسطورة ودراسة بواعث نشوئها وتفسيرها ووظائفها اللغوية والنفسية والفكرية والاجتماعية والفنية، ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ظهرت مدارس كثيرة استهدفت تقديم نظريات شاملة في تفسير الأسطورة، منها ما قد ذهب أصحابها إلى تعليل نشوء الأسطورة بسبب الطبيعة وما يتصل بها من ظواهر، كالشمس والقمر والنجوم والرياح والبراكين وغيرها، والتي أدت إلى صياغة وعي الإنسان وفقا لتأثيراتها عليه وعلى مجريات حياته، وهذا ما يلاحظ من عبادة الحيوانات والتي تعرف بـ"العبادة الطوطمية"، وكذلك مايلاحظ من خلال الرسوم الكثيرة التي كانت تعج بها المعابد، وكذلك ما يلاحظ في الملاحم والأساطير القديمة الكبرى كـ "ملحمة كلكامش" واسطورة الخلق والتكوين والطوفان، ويعد هذا الضرب من التدوين التاريخي شبيه التاريخ الذي لا يسجل ما حدث فعلاً بل ما أحسه الناس واحبه او اعتقدوا في اوقات مختلفة بانه قد حدث.

لقد كانت الممارسات الأسطورية عبارة عن طقوس تتم عبرها عملية التعامل مع الظواهر الطبيعةلتشكل بداياتٍ أولى للعلم الطبيعي اتخذت من الآلهة أو من الأبطال أو من القوى الخفية أسباباً تعلل آلية عمل تلك الظواهر، وقد احتكر الكهنة مهمة التعامل مع الظواهر الطبيعية ولعبوا دور "الشفيع" أو "الوسيط" الذي يمكنه قراءة مستقبل الظاهرة ومن ثم آلية التعامل معها والتقرب إلى الأسباب الموجدة لها.

ينبغي أن يستهدف طالب الدراسات العليا – بعد هذا العرض – بالبحث والتمحيص الإجابة عن الأسئلة التالية:

- التعريف بالأسطورة لغة واصطلاحا.
- أسباب نشوء الأساطير.
- أنواع الأساطير.
- أهميتها.

وكل هذا وذاك وهذه وتلك موجودة على الشبكة الدولية للمعلومات، شرط أن يكون الموقع الذي يتعامل معه الطالب من المواقع الرصينة وكما تم إيضاحها مسبقا أثناء المحاضرات.

ثانيا: التفسير الديني للتاريخ:

أ-تفسير التاريخ من وجهة نظر المعتقدات الوثنية:

لعل الاطلاع على الملامح العامة التي تميز المعتقدات الوثنية، يجعل من السهل معرفة نظرة تلك المعتقدات إلى التاريخ وإلى طبيعة صيرورته وحركته، ومن أبرز تلك الملامح هي:

1- تعدد الآلهة.
2- تبلور التصورات المختلفة لمرحلة ما بعد الموت أو فكرة "الخلود"، وإقامة الطقوس والعبادات للتأهب لتلك المرحلة، كما يلاحظ في بناء الأهرامات عند سكان وادي النيل، وإقامة الطقوس الخاصة بموت الإله "تموز" عند سكان وادي الرافدين.
3- النزوع نحو إقامة بناء أخلاقي عند أغلب المعتقدات، كما هو الحال عند "التاوية" و "الكونفوشيوسية" في الصين، و"البراهماتية" و "البوذية" في الهند، و"الزرادشتية" في بلاد فارس. فقد كان التاريخ وصيرورته خاضعاً لجملة اعتبارات أخلاقية وجملة وصايا قد أملتها القوى الروحية على من ادعوا الإلوهية، ومن اتخذوا مقام الوسيط، وكان من أبرز تلك الاعتبارات هو التحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الرذائل والانسلاخ من ربقة حب التملك وتجنب مسببات الألم.

ب- تفسير الديانات السماوية الكبرى للتاريخ:

التفسير اليهودي للتاريخ:

يتميز التفسير اليهودي للتاريخ بعدة مميزات شكلت الخطوط العريضة التي تبين أهم معالم ذلك التفسير، ومن أبرز تلك المميزات هي:

أ- الغموض الذي اكتنف هذا التفسير، وهذا الغموض يعود سببه إلى الاختلاف بين اليهود أنفسهم حول التوراة التي هي مصدر الديانة اليهودية، وكذلك الاختلاف بين اليهود والمسيحيين من جهة أخرى حول "الأسفار" التي تضمنتها التوراة، وإجماع المؤرخين على الرأي بأن التوراة هي

ليست "وحدة تأليفية" بل هي على العكس من ذلك، فهي في نظرهم "تجميع" قام به أفراد متعددون في أوقات مختلفة.
ب- النظرة الحتمية إلى صيرورة التاريخ، وهذه الحتمية متأتية من نفاذ الإرادة الإلهية في سلوك البشر، وليس في وسعهم الخروج عن تلك الإرادة.
ت- القول بنهاية التاريخ الذي تدعمه النظرة الحتمية إلى صيرورة التاريخ، والتي تخبر التوراة بضرورة انتظار "المخلِّص" أو "المسيح المنتظر" والذي لا بد كم ظهوره ليكون سبباً في تخليص "الشعب المختار" من "مظلوميته" وحزنه وتشاؤمه.

التفسير المسيحي للتاريخ:

تتمحور العقيدة المسيحية حول أربعة نقاط أساسية وهي:

أ- التأكيد على فكرة الخطيئة التي تمثلت في "سقطة آدم" واستمرارها في التاريخ.
ب- التجسد، وهو اعتقاد ساد الديانة المسيحية يذهب إلى أن الله تعالى قد حل "سبحانه" في التاريخ بصورة بشرية، وقد كان هذا الحلول ضروريا لتخليص البشر بعد تلوثه بالخطيئة، والصورة التي تجسد بها "الإله" " – سبحان الله وتعالى – هي صورة السيد المسيح "عيله السلام".
ت- فكرة الصلب أو الفداء، وهي تعبير عن تكفير السيد المسيح "عليه السلام" عن جميع أخطاء البشر بعدما توفي على الصليب.
ث- فكرة القيامة، وتعني قيامة السيد المسيح "عليه السلام" بعد صلبه، ومن ثم صعوده إلى السماء تأكيداً على خلوده.
وتتعامل الديانة المسيحية مع مفهوم التاريخ من خلال مفهومي "المؤقت" و "الأبدي"، فمن خلال الانتقال من الأول إلى الثاني تدور عجلة التاريخ ويأخذ التاريخ بعده الذي بلورته الديانة المسيحية، وهذا الانتقال لن يتم بغير الإيمان بحضور تعاليم المسيح "عليه السلام" على الصعيد المؤقت، وحضور السيد المسيح" عليه السلام" وعودته استعدادا ليوم الحساب وافتتاح مملكة السماء على الصعيد الأبدي، والمساحة الفاصلة بين "المؤقت" وبين "الأبدي" في العقيدة المسيحية لا ترتكز على الفرار المطلق من التاريخ واعتزال مسرح عملياته، ففي الديانة المسيحية العديد من التعاليم الداعية إلى العمل ونبذ العنف والتسامح والتحلي بالأخلاق.

التفسير الإسلامي للتاريخ:

يستند التاريخ البشري من المنظور الإسلاميإلى مقررات ربانية مستمدة من القرآن الكريم والسنةالنبوية الشريفة، وتطبيقات بشرية قائمة على مدى فهم أصحاب هذا التفسير لهذه المقررات، وكيفية توظيفها في منظومة منهجية تصلح لقراءة التاريخ البشري، وتحليل وقائعه. ومن خلال هذا يتبين أن الوقوف على مفهوم "السننية" في التاريخ هو خير السبل للوصول إلى الكيفية التي تعامل بها الدين الإسلامي مع التاريخ. فالعالم بكل ما فيه ومن فيه من نبات وجماد وحيوان وإنسان وأجرام سماوية، وما يصدر عن هذه الموجودات وما يتعلق بها ويحل فيها، وما يقع من حوادث كونية كنزول المطر وهبوب الريح وثوران البراكين وتعاقب الليل والنهار، وما يحصل للإنسان من أطوار خلقه وتكوينه في بطن أمه وما يحدث له وللأمة من شقاء وسعادة ورفعة وسقوط وعلو وانحطاط وقوة وضعف وبقاء وفناء ونحو ذلك؛ كل ذلك الذي ذكرنا وجوده وحدوثه في العالم لا يقع صدفة وما هوبخبط عشواء وإنما يقع ويحدث وفق قانون عام دقيق ثابت صارم لا يخرج عن أحكامه شيء.

السنة في اللغة:

تعني السيرة ، حسنة كانت أو قبيحة، كما جاء في لسان العرب لابن منظور. وفي النهاية لابن الأثير. والأصل في هذا اللفظ ـ السنّة، الطريقة والسيرة.

وقال الفيروز آبادي في معنى السنة: والأصل فيها الطريقة والسيرة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سنّ سنة حسنة) أي طرق طريقة حسنة، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم طريقته التي كان يتحرّاها. والتعريف المختار لسنة الله: هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة وهذا يعني أن معنى السنةهو معنى "القانون العام" من حيث خضوع أفعال البشر وسلوكهم إلى أحكام هذه السنة التي يمكن تسميتها بالقانون العام.

سمات السنن الإلهية:

- **الثبات:**ما دامت سنة الله هي القانون العام الذي يحكم أفعال البشر وسلوكهم فإنها **تتسم بالثبات** والاطراد والعموم، وهذا هو شأن القاعدة القانونية.فهي ثابتة لا تتغير، قال تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)، وقال تعالى: (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً).
- **الإطراد: فهي مطردة** لا تتخلف، ويدل على اطرادها أن الله تعالى قصّ علينا قصص الأمم السابقة وما حلّ بها لنتعظ ونعتبر ولا نفعل فعلهم لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها. فمن هذه الآيات قوله تعالى: (فاعبروا يا أولي الأبصار)، إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب وتعتمدوا على غيره عزّ وجلّ بل توكلوا عليه. وكذلك قوله تعالى : (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ {137} هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ).
- **العموم:** أي أنها عامة يسري حكمها على الجميع دون محاباة ولا تمييز، قال تعالى: (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ)، (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ). أي ليس كفاركم خيراً من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم.وقال تعالى : (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ)، والمعنى أن كل من يعمل سوءاً يلق جزاءه ؛ لأن الجزاء بحسب سنّة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه. فسنّة الله تعالى ثابتة ومطردة وعامة غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا على قوم دون قوم . ولولا ثباتها واطرادها وعمومها لما كان معنى في ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة وطلب الاعتبار بما حل هم، ولكن لما كان ما جرى لهم وعليهم يجري على غيرهم إذا فعلوا فعلهم.

جاء الإسلام بعد المسيحية بحوالي ستة قرون، ويقوم الدين الإسلامي على خمسة أركان هي التوحيد القائم على الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له وأن محمدا "عليه الصلاة والسلام" عبده ورسوله وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين، بالإضافة إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى البيت الحرام.

ويتمحور الفعل التاريخي من المنظور الإسلامي حول علاقة الإنسان المخلوق الذي خلقه الله تعالى ليكون خليفة في الأرض يعمرها ويعبد الله فيها ولا يشرك به شيئاً من جهة، وبين الله "تعالى" نافذ الإرادة وعالم الغيب والشهادة الذي ليس كمثله شيء.

ومن خلال هذه العلاقة تتبين معالم التاريخ البشري من خلال المنظور الإسلامي، حيث الإنسان المخلوق الوقتي الذي منحه الله تعالى العقل والقلب وأودع فيه من الأحاسيس والمشاعر والعواطف، كما أودع فيه رشده وبين له السبيل الذي يهدي إلى الرشاد من السبيل الذي يؤدي به إلى الهاوية والهلاك، وسخر له ما على ظهر هذا الكوكب كي يعمره ويفني عمره الزمني المحدود المؤقت في عمارته وفقا لأوامر الله تعالى ونواهيه، لكي يلاقي الله تعالى من بعد موته في يوم القيامة، حيث توضع الموازين القسط للناس جميعا حتى لا تكون للإنسان حجة، ومن بعد ذلك يذهب الناس إلى سبيلين إما سبيل الجنة وإما سبيل النار.

ومن خلال تلك العلاقة أيضاً يتبين لنا أن التاريخ المؤقت إن هو إلا وسيلة للفوز بالتاريخ الأبدي، وتعبيرا عن الفعل الإلهي المباشر في التاريخ من خلال صفات الله تعالى وأسماءه الحسنى جل وعلا.

وكما قد رأينا في التفسير اليهودي والمسيحي للتاريخ فيما يخص مسألة التعامل مع التاريخ، فإنالإسلام لم يدع إلى الهروب من التاريخ على الرغم من نبذه لمظاهر النعيم والترف والجمال التي يتمظهر بها واقع حال هذه الدنيا المحصور في جدران الزمن الوقتي المتناهي، حيث عدَّ الإسلام تلك المظاهر من جملة ما تزدان به الحياة الدنيا وتزين لابن آدم لتكون بالتالي عائقاً يحول دون تقدمه ودون مواصلته لتعمير الأرض ونشر رسالة السماء، على الرغم من كل ذلك فقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان الأخذ بالأسباب وفقاً لشرعه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فأمره باستغلال الأرض وعمارتها ومجاهدة النفس وتنظيفها من أدرانها وجهاد الشر والاعوجاج في سبيل الوصول إلى رضوان الله تعالى والفوز بالجنة والخلود فيها والانتقال إلى التاريخ السرمدي.

ثالثاً: التفسير الجغرافي للتاريخ.

لقد ارتبطت أحداث التاريخ ووقائعه منذ أقدم العصور بالبيئة والظاهرة الجغرافية، إذ أن البشر ميالون بحكم نزعاتهم الفطرية إلى حب الاستطلاع والتعرف على أماكن غير أماكنهم وأساليب غير الأساليب المتعارف عليها لديهم، كما أن الأرض بأشكالها المختلفة تبدو بمثابة المسرح الذي قامت عليه الوقائع التاريخية، وهي تبدو ذات اثر كبير في توجيه مصائر النوع الإنساني، ومن هنا غدا للظواهر الجغرافية تأثيرها مع غيرها من المؤثرات في الإنسان ومن ثم في التاريخ، ذلك تبعاً لنوع تفاعله مع بيئته ومواجهته للظروف المحيطة به.

أما أبرز من مثل هذا الاتجاه في تفسير التاريخ فهم:

"عبد الرحمن ابن خلدون":

تتمحور آراء ابن خلدون في تفسيره للتاريخ من خلال قوله بتأثير البيئة الجغرافية على الحياة الاجتماعية، إذ يرى أن سكان الشمال البارد يتصفون بالشجاعة والفضيلة وحسن التفكير ولهم باع في الحضارة وهم أهل للحكم، بينما يسود الكسل بين سكان الجنوب كما يسود بينهم الميل نحو اللهو وتبعاً لذلك فهم مغلوبون لأهل الشمال، في حين يسود الاعتدال بين سكان المناطق المعتدلة في أخلاقهم وأجسامهم ومعاشهم، وفيهم ظهرت الأديان.

وعلى الرغم من طبيعة هذا التقسيم الذي اعتمده ابن خلدون إلا أنه لم يعده أوحداً حيث أدخل إلى جانبه عوامل أخرى كالأديان والأصول البشرية والعوامل الاقتصادية.

"جان بودان":

يرى "بودان" في كتابه "الكتب الست عن الجمهورية" أن طبيعة النشاط البشري مرتبطة بنوعٍ من الحكم السائد، ويلعب المناخ هنا الدور الأبرز، حيث يرى "بودان" أن سكان الشمال البارد يمتازون بالبلاهة وضخامة الأجسام غير أنهم يميلون نحو الأشكال الديمقراطية في الحكم، أما الجنوب الحار فإن سكانه يميلون نحو الكسل والرخاوة وتبعاً لذلك فإنهم يتصفون بالسلبية السياسية، وكنتيجة لذلك فإنهم محكومون بالحكم "الثيوقراطي" الذي هو احد مظاهر الطغيان السياسي، في حين يكون سكان "الإقليم المركزي" المعتدل معتدلين بطبيعتهم وتكون "الملكية" هي شكل الحكم المفضل لديهم.

"شارل دي مونتسكيو":

يعد من أبرز دعاة نظرية "المناخات"، حيث رأى أن المناخ البارد ينتج أناساً يتميزون بالقوة والشجاعة، وهذا ما أتاح لهم الحفاظ على حياتهم وحريتهم، في حين أن المناخ الحار يولد أناساً ضعافاً بنيةً وسلوكاً وقد حَكَمَ عليهم بأن يكونوا مستعبدين.

كما أكد "مونتسكيو" على تأثير عامل المناخ على الشكل السياسي للدولة، وذلك من خلال عامل "الطوبوغرافيا" الذي تتحدد بموجبه مساحة الدولة ومن ثم تتحدد تبعاً لذلك نوعية الحكم السياسي لها، وبذلك يغدو "النظام الجمهوري" مناسباً للمساحات الصغيرة، و"النظام الملكي" مناسباً للمساحات المتوسطة، و"النظام الاستبدادي" مناسباً للمساحات الشاسعة.

كما أعطى "مونتسكيو" لعامل الأرض أهمية بالغة وذلك من خلال نظرته إلى العلاقة بين شكل البيئة وبين ممارسة الحرية، فالأرض حين تكون ملائمة للزراعة فإن روح الخنوع والعبودية هي التي تسود أوساط المجتمع، في حين تكون الأرض الجرداء دافعاً للسكان إلى المهارة وترسيخ الشجاعة والجد وتعزيز الحرية، وتبعاً لذلك فإنهم مؤهلون للحروب لغرض تأمين الحاجات الماسة للبقاء.

وقد تعرضت نظرية "مونتسكيو" للانتقادات التي كان من أبرزها تجاهلها لعامل الصيرورة والتحول الذي من شأنه أن يساعد على فهم كيفية حلول أشكال اجتماعية عليا محل أشكال أخرى أدنى منها تبعا لتطور الوعي البشري، وانعكاسه على تطور الحضارات والثقافات. وبالإضافة إلى ذلك فإن قراءة "مونتسكيو" كانت فقيرة وكان يعوزها التعمق في تأريخ الكثير من الشعوب وهذه الحالة من الفقر واضحة عنده من خلال الانتقائية في اختيار المجتمعات التي جعلها محل تحليله وتأملاته.